

## تقاوم المرض أيام النصر كما قاومت التعذيب زمن القمع

راضية النصاروي

صاحبة الضمير التونسي الناصع

لينب الحرابوي  
صحافية تونسية

قبل أسبوعين تحدث حملة الهمامي على أمواج إذاعة موزاييك الخاصة ليعلن بحرقه أن زوجته راضية النصاروي مريضة ومريضة جدا. وكشف أن زوجته تعاني من متاعب صحية وأن أعراض المرض بدأت تظهر عليها منذ سنة ونصف السنة، وأن عائلته تعيش كابوسا منذ ذلك الحين، مشيرا إلى أنها تعاني من مرض مركب وتشكو من الام على مستوى الراس من مخلفات ما تعرضت له من تعذيب. وأصاف الهمامي أن زوجته تعاني أيضا من "الغدة الدرقية التي تسببت لها في انهيار عصبي واكتئاب، إضافة إلى ارتفاع نسبة سائل المخ عن المعدل العادي ما جعلها تعاني من بطء في الحركة، لكن الإطارات الطبي المباشر لحالتها استبعد استبعادا كليا أن تكون زوجته تعاني من "الخرف"، وفق تأكيد.

في يوم قافظ من أيام أغسطس عام 2008، حين أشارت الساعة إلى الثالثة

ظهرا، كانت النصاروي تعصم منذ الساعة التاسعة صباحا أمام باب سجن في محافظة قفصة لمقابلة أحد السجناء السياسيين. مرت ساعتان بعدها، وجاءت التعليمات بالسماح للنصاروي بزيارة السجن الذي وقف أمام مكتب زيارة المحامي. أدخلوا تلك النحيفة التي تكاد حقيقتها تهزمها، وكانت تحمل في يدها اليمنى قطعة خبز وفي الأخرى قطعة جبن.

يروي ذلك السجن الذي كان اسمه عبيد خليفي، الحادثة فيقول "خالطني بالسلام والإحضان. ضحكت كثيرا لشهد راضية وهي تلتهم الخبز والجبن وتجادلني في القضية وتمنحني أخبار المساندة. حديثها مقطع بين الأكل والماء والمساندة والتأؤل.. قالت إنها نسيت أن تاكل منذ الرابعة صباحا حين غادرت العاصمة نحو قفصة".

حملتها للدفاع عن حقوق

الإنسان تعود إلى زمن

السبعينات من القرن الماضي

عندما تم التصدي لمظاهرات

الطلاب والعمال التي خرجت

إلى الشارع. دافعت النصاروي

حينها كحقوقية عن الطلاب

المحتجزين، على خلفية أحداث

ما أطلق عليه بالخميس الأسود

وحيث عينت جلسة محاكمة خليفي، حضر أكثر من مئة وخمسين محاميا. كانت النصاروي أول المترافعين. عندما بدأت الكلام بصوتها الرقيق هدأت الأصوات في القاعة. بدت مرافعتها كحاضرة في أصول التعذيب الجسدي والنفسي، وعن دلالات الصغ على الأذن اليسرى. كانت تصرخ أن "النظام يريدنا



المصادر تقول إن النصاروي مريضة بالزهايمر وأنها ستسنى كل شيء، ستسنى حمة الهمامي وتسنى بن علي وتسنى السرية والهرسلة وعنف البوليس.

وقع ضرب رأسها على حائط.



النصاروي تدين مطالبة السجناء السياسيين وخاصة السجناء الإسلاميين في عهد بن علي بالتعويضات المادية. وتبرر ذلك بالقول إن "نيلسون مانديلا قضى 27 سنة في السجن ولم يطالب يوما بالتعويض المادي".

أن نسمع باليمين فقط، وأن الضرب على الأعضاء التناسلية محاولة لقطع خصوبة المناضلين والنضال، هو ضرب لرجولة شرقية متخلفة".

فصلت حديثا عن موجهة، ومن خلفها وقف الراحل شكري بلعيد، الذي اغتيل يوم 6 فبراير 2013 بتمتم "اللجنة". من أين تأتي بهذا الكلام؟ أعاد خليفي سرد نص المرافعة التي حفظها عن ظهر قلب، وبمجرد عودته إلى الغرفة السجنية بعد صدور الحكم خطها في كراساته ليحفظ لنساء بلاده مجدهن.

تحت الرقابة

تقول رواية أمنية موثوقة إن سيارة الشرطة تكاد لا تفارق مدخل منزل راضية. حينها كان زوجها الهمامي "يحترف السياسة سرا" زمن بن علي، ثم تخرج راضية معلنة أنها حامل. لكن كيف لم تغب عن أعيننا لحظة؟ كانت طريقة من طرقها الألف لمقاومة الاستبداد. يقول من يعرفها إنها أنجبت بناتها بذات الطريقة. وتعد النصاروي من أبرز نشطاء حقوق الإنسان في تونس أيام بورقيبة وبين علي، وهي التي تخصصت في مجال مقاومة التعذيب. ولدت يوم 21 نوفمبر 1953، في مدينة تاجروين من محافظة الكاف، كان والدها مناضلا صلب الحركة الوطنية وكان أول مؤسس لشعبة دستورية في مدينة تالة من محافظة القيصرين. وبعد إعلان الاستقلال قرر الأب الابتعاد عن السياسة، فأصبح معلما ومن ثم مدير مدرسة.

بدأت في تلقي تعليمها في سن الرابعة، وتحصلت على شهادة البكالوريا في سن الـ16 عاما، ثم توجهت للجامعة حيث تخصصت في دراسة الحقوق وتحصلت على الأستاذية في الحقوق وفي علوم الإخبار. وعند تخرجها، سجلت نفسها في شهادة الكفاءة في مهنة المحاماة وعملت لمدة سنتين في وكالة تونس أفريقيا للأنباء إلى حين حصولها على شهادة المحاماة.

أطلقت النصاروي حملتها للدفاع عن حقوق الإنسان في السبعينات من القرن

لم تكف السلطات بمحاولة الزج بالنصاروي في السجن، بل عمدت إلى الاعتداء عليها جسديا عدة مرات وكانت بعض الاعتداءات خطيرة جدا وكانت لها تداعيات على حالتها الصحية اليوم. ويتحدث الهمامي عن تلك الحادثة قائلا إنه كان مع زوجته وابتدئه عندما تمت محاصرتهم من قبل 4 أو 5 أشخاص وقام مسؤول في أمن الدولة بمطالبة عون أمن بضرر راضية بواسطة "ماتراك" على رأسها الأمر الذي خلف أثارا ظهرت لاحقا.

وقبل ذلك، تعرضت النصاروي لاعتداء عنيف، عندما أسست المنظمة التونسية المناهضة للتعذيب وذلك خلال توجهها مع بقية المؤسسين، إلى مقر ولاية تونس لتسجيل المنظمة إلا أنهم وجدوا رجال الشرطة الذين قاموا بالاعتداء على النصاروي بشدة، وقاموا بمسكها من يديها وساقها ونقلها من أمام مقر الولاية إلى شارع محمد الخامس وهم يضربونها ويخبرون الناس في المقاهي بأنها امرأة مجنونة، رغم أنها كانت آنذاك تبلغ من العمر 50 سنة وتعمل محامية في التعذيب.

نزيف الاعتداءات لم يتوقف هنا، فقد تقرر ذات يوم تنظيم تجمع من أجل الحريات أمام تمثال ابن خلدون في العاصمة، إلا أن الأمن اعترض المنظمين، وهاجم حوالي 60 أمينا النصاروي وزوجها، وتم جرهما إلى نهج الشام حيث وقع ضرب رأسها على حائط.



الثورة التونسية لم تمنح النصاروي المزيد، وهي تؤكد بنفسها أنه لم يتحقق أي مكسب لتلك الثورة، وأن التعذيب في السجن ما زال متواصلا حتى الآن على غرار البطالة وارتفاع الأسعار.

الأسعار. كانت قد ترأست أثناء انتخابات المجلس الوطني التأسيسي قائمة حزب العمال الشيوعي التونسي "البديل الثوري" في دائرة تونس 2، إلا أنها لم تحصل إلا على 1.25 بالمئة من الأصوات. ورغم أنها طالما اعتبرت أن التعذيب هو شكل من أشكال الإرهاب وجريمة تنتهك الحقوق الإنسانية لانتخابات أعضاء الهيئة الوطنية للرقابة من التعذيب أثارت جدلا كبيرا واستنكارا من متتبعي الشأن السياسي في تونس حيث اعتبروا أن الولاءات والانتماءات السياسية لعبت دورا كبيرا.

ويرى العديديون أن استبعاد النصاروي التي كانت مرشحة لترؤس الهيئة كان بسوء نية ومقصودا، في حين تم انتخاب ضياء الدين مورو ابن نائب رئيس مجلس النواب السابق، والقيادي في حركة النهضة الإسلامية، عبدالفتاح مورو رئيسا لها، وهو ما اعتبره كثيرون مؤشرا على أن هذه الهيئة متحيزة.

عبرت النصاروي عن تسامح كبير وسبق أن أكدت أن بن علي لو كان عاد إلى تونس واعترف بجرائمه واعتذر عنها فإنها ستدافع عن حقه

في محاكمة عادلة تحترم كرامته وحرمة الجسدية، شأنه شأن أي إنسان، موضحة أن حقوق الإنسان للجميع وأن احترام الكرامة للجميع وأكدت أنها "لن تسمح بان يزوج بانسان في مثل سن بن علي في السجن"، مضيفة أنها لا تعادي الأمن ولا تكن للأمينين أي حقد رغم ما حصل لها من اعتداءات. وقد أدانت النصاروي مطالبة السجناء السياسيين وخاصة السجناء الإسلاميين في عهد بن علي بالتعويضات المادية. وقالت إن "نيلسون مانديلا قضى 27 سنة في السجن ولم يطالب يوما بالتعويض المادي".

أنصف العالم النصاروي معترفا بقوتها إذ اختيرت ضمن اللائحة القصيرة للمرشحين لجائزة نوبل للسلام 2011، وتحصلت على جائزة أولف بالمه لحقوق الإنسان 2013، وجائزة رولون برقر، وجائزة كمال جمبلاط وجائزة خوزنبيغ الهولندية، وقد حازت دكتوراه فخرية مرتين في حياتها. كما انتخبت عضوا خبيرا في لجنة الأمم المتحدة المناهضة للتعذيب، وقد تم هذا الانتخاب بـ62 صوتا من جملة 70.

النصاروي تعد في الذاكرة الجمعية التونسية، من أبرز نشطاء حقوق الإنسان في بلادها، زمن الرئيسين الراحلين الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي، وهي التي تخصصت في مجال مقاومة التعذيب

استمر التعذيب للنصاروي بالقمع من قبل الحكومة وذلك إلى حين ثورة 2011 التي سقطت على إثرها نظام بن علي. خلال هذه الفترة عرفت النصاروي كمحامية وناشطة في مجال مناهضة التعذيب وكونها أشهر زعيمة رأي تونسية. واستمرت بعد الثورة في الدفاع عن السجناء ومناهضة التعذيب، كما أنها عضو لجنة رعاية محكمة روسل حول فلسطين.

أما اليوم، فتقول المصادر أن النصاروي مريضة بالزهايمر وأنها ستسنى كل شيء ستسنى حمة وتسنى بن علي وتسنى السرية والهرسلة وعنف البوليس.. لن نتذكر راضية شيئا.

كابوس جديد

تعرف المحاكم التونسية صوت راضية نصاروي جيدا وقد رافعت في جميع القضايا السياسية دون اعتبار لهوية الضحية السياسية ودون مقابل. كما رافعت في القضايا الاجتماعية دون مقابل أيضا. كانت راضية دائما هناك حيث يوجد الظلم دون حسابات.

لقد حافظت راضية النصاروي، المرأة الرمز والمدافعة الشرسة بلا هوادة عن الحق والمنصرة الشرسة للمظلومين، على نفس الوثيرة في خطابها الهادئ والعقلاني السوازن بعيدا عن الانفعالية.

كانت ولا تزال مثالا للالتزام السياسي

والحقوقى وبذلك خطت لنفسها مسلكا فريدا ومقاما ساميا. لكن الثورة لم تمنح النصاروي أي مكاسب وقد أكدت بنفسها أنه لم يتحقق أي مكسب من مكاسب الثورة التونسية، وأضافت أن التعذيب في السجن ما زال متواصلا حتى الآن على غرار البطالة وارتفاع

الأسعار. كانت قد ترأست أثناء انتخابات المجلس الوطني التأسيسي قائمة حزب العمال الشيوعي التونسي "البديل الثوري" في دائرة تونس 2، إلا أنها لم تحصل إلا على 1.25 بالمئة من الأصوات. ورغم أنها طالما اعتبرت أن التعذيب هو شكل من أشكال الإرهاب وجريمة تنتهك الحقوق الإنسانية لانتخابات أعضاء الهيئة الوطنية للرقابة من التعذيب أثارت جدلا كبيرا واستنكارا من متتبعي الشأن السياسي في تونس حيث اعتبروا أن الولاءات والانتماءات السياسية لعبت دورا كبيرا.

ويرى العديديون أن استبعاد النصاروي التي كانت مرشحة لترؤس الهيئة كان بسوء نية ومقصودا، في حين تم انتخاب ضياء الدين مورو ابن نائب رئيس مجلس النواب السابق، والقيادي في حركة النهضة الإسلامية، عبدالفتاح مورو رئيسا لها، وهو ما اعتبره كثيرون مؤشرا على أن هذه الهيئة متحيزة.

عبرت النصاروي عن تسامح كبير وسبق أن أكدت أن بن علي لو كان عاد إلى تونس واعترف بجرائمه واعتذر عنها فإنها ستدافع عن حقه